(٦٢)

"القدوة"

كان يستذكر دروسه كلها بجدٍ واجتهاد من أول يوم فى كل عامٍ دراسى، وكان مِثله فى ذلك الاجتهاد والتفوق زميله الجامعى الذى اعتاد أن يسبقه فى الترتيب ليكون هو الثانى على الدفعة، بينما يحتل زميله هذا الترتيب الأول عامًا تلو الآخر. وفى يومٍ من أيام الامتحانات فى آخر عامٍ لهما فى الدراسة الجامعية، رأى زميله هذا بعد أن انتهى من الإجابة على كل الأسئلة، يغشش أحد الزملاء من ورقة إجابته، فاستهجن ما رآه من غشٍ يشترك فيه الطالب الأول على الدفعة، ويقوم به عن طيب خاطر، ظنًا منه أنه طالما سيحصل على الدرجة النهائية فلا مانع من مساعدة من يريد النجاح وفقط.

وفور الخروج من لجنة الامتحان رأى زميله (الأول على الدفعة) يقترب منه، فبادر بمصافحته والحديث معه عن الامتحان وما جاء فيه من أسئلة. وأثناء الحديث تعمَّد أن يفاتح زميله فى موضوع الغش الذى رآه، ليسأله عن سبب قيامه بهذا العمل بطيب خاطر ملحوظ، ووعيٍ لافتٍ للنظر. فما كان منه إلا أن أجابه بثقة أميل إلى المباهاة بأنه لا يجد أية غضاضة فى أن يغشش زميله المحتاج للنجاح فى هذه المادة خاصة وأنه قد انتهى من الإجابة على كل الأسئلة بسهولة ويسر. فتعجب من ذلك المنطق، وأوضح لزميله أن الغش يشترك فيه

الغاش والمُغشِّش والمراقب الذى يرى عملية الغش ولا يمنعها، ولا يبرره أن يكون المُغشِّش لن يخسر شيئًا من تغشيشه لغيره طالما أنه متأكد من حصوله على الدرجة وأن الغاش لن يحصل على درجة أعلى منه.

وعلى الرغم من كون الغش غشًا (حتى لو كان بنية طيبة وهى مساعدة الآخرين على النجاح وعدم الرسوب)؛ إلا أن الطالب الأول على الدفعة استحل ذلك النوع من الغش معتبرًا إياه مساعدة بريئة مسموحًا بها، ولم يعترف بأن فعل الغش الذى اشترك فيه إنما هو إثمٌ عظيم حتى لو كان عن تراضٍ بين الغاش والمُغشِّش.

واستمرت تلك القناعة مع الطالب الأول على الدفعة الذى تم تعيينه فيما بعد معيدًا فى الكلية ليساهم فى تعليم الدفعات الجديدة، دون أن يدرك أن جريمة الغش تلك كانت غشًا لكل من اجتهد وذاكر ولم يغش، وكانت تعديًا على قانون الامتحان الذى يهدف إلى المساواة فى تقييم الطلبة وفقًا لما استذكروه لا لما غشوه من غيرهم. وكما أن العلم أمانة يتطلب أداؤها الاجتهاد فى التحصيل والصدق فى التوصيل، فإن التعليم والتربية أيضًا يتطلبان بالضرورة قدوة صالحة يُقتَدَى بها، وتكون على قناعة بقيمة الأمانة وعواقب الغش أيًا ما كان.